الفصل الأول

الدعاء النفسى

هذا القسم مشتمل على دعاء واحد فى سورة البقرة وهو قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] تشير هذه الآية الكريمة إلى قصة تحول القبلة وأسبابه فلقد كان رسول الله ﷺ وصحابته الكرام يتوجهون إلى الكعبة فى صلاتهم منذ أن فرضت فلما هاجر عليه السلام من مكة إلى المدينة أمره اللَّه تعالى أن يتوجه هو والمسلمون فى صلاتهم إلى بيت المقدس تألفاً لليهود، فاستجاب الرسول والمسلمون لأمر ربهم واتجهوا إلى بيت المقدس ستة أو سبعة عشر شهراً لكنه كان فى هذه المدة يحن إلى الكعبة ويود من الله تعالى أن يأمره بالعودة إليها، وكثر تقلب وجهه فى السماء وتطلعه إلى الوحى تشوقاً وتشرفاً ولعل الحامل له على ذلك هو أن الكعبة كانت قبلة أبيه إبراهيم الخليل، كما أن توجهه إليها أدعى إلى إسلام العرب وهم أهله وعشيرته.

ولقد كان هذا الدعاء القلبى الصادر من ذات الرسول ﷺ والذى أوحت به ظروفه المحيطة وارتسمت علاماته على وجهه الشريف دون أن ينطلق به لسانه، لقد كان هذا الدعاء من أرقى أنواع المناجاة لأنه دعاء نفسى خفى نابع عن ألم، ومتطلع إلى أمل لا لنفع شخصى يعود على الرسول بل لقصد استمالة القلوب إلى دعوته واستهواء العقول إلى رسالته.

لهذا كله استجاب الله تعالى هذا الدعاء وحقق أمنيته فقال تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[البقرة: ١٤٤]، ولقد كان تحول القبلة من الكعبة إلى بيت المقدس ثم

العودة بها إلى الكعبة مثار لغط وتساؤلات كثيرة ولهذا كانت الآيتان السابقتان على آيتنا هذه خير موضح ومجيب لهذه الاستفسارات بل تضمنت هاتان الآيتان الحكمة الإلهية التى استوجبت التحويل والعودة فقد قال الله تعالى:

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ (اليهود والمشركين) مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا (بيت المقدس) قُل (يا محمد لهؤلاء) لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٢] . ثم يقول الله تعالى مبيناً الحكمة من هذا التحويل:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا (وهى الكعبة) إِلَّا لِنَعْلَمَ (علم الظهور) مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ (فيصدقه) مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ (فيكذبه) ﴾[البقرة: ١٤٣].

ثم يبين جل شأنه أن التحول عن القِبْلة أمر شاق على كثير من الناس إلا من هداهم الله فقال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٤٥].

ثم طمأن جل علاه المؤمنين بأن موتاهم الذين توفوا قبل الأمر بتحويل القبلة إلى الكعبة وكانوا يصلون إلى بيت المقدس طمأنهم بأن هذه الصلاة لن يضيع عليهم ثوابها فقال جل شأنه : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة :١٤٣]